

أضواء البيان

@ 368 والشرف ، وهو فعيل بمعنى مفاعل من السمو بمعنى العلو والرفعة ، ويكثر في اللغة إتيان الفعيل بمعنى المفاعل . كالقعيد والجليس بمعنى المقاعد والمجالس . والأكيل والشريب بمعنى المؤاكل والمشارب ، وكذلك السمي بمعنى المسامي أي المماثل في السمو . فإذا علمت ذلك فاعلم أن قوله هنا { لَمْ نَجْعَلْ لَّهِ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا } أي لم نجعل من قبله أحداً يتسمى باسمه . فهو أول من كان اسمه يحيى . وقول من قال : إن معناه لم نجعل له سمياً أي نظيراً في السمو والرفعة غير صواب لأنه ليس بأفضل من إبراهيم وموسى ونوح ، فالقول الأول هو الصواب . وممن قال به ابن عباس وقتادة والسدي وابن أسلم وغيرهم . ويروى القول الثاني عن مجاهد وابن عباس أيضاً . وإذا علمت أن الصواب أن معنى قوله { لَمْ نَجْعَلْ لَّهِ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا } أي لم نسّم أحداً باسمه قبله فاعلم أن قوله { رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } معناه : أنه تعالى ليس له نظير ولا مماثل يساميه في العلو والعظمة والكمال على التحقيق . وقال بعض العلماء : وهو مروى عن ابن عباس { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } هل تعلم أحداً يسمى باسمه الرحمن جل وعلا . والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { قَالَ رَبِّ اُنْزِلْ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن زكريا لما بشر بيحيى قال { رَبِّ اُنْزِلْ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا } وهذا الذي ذكر أنه قاله هنا ذكره أيضاً في (آل عمران) في قوله { قَالَ رَبِّ اُنْزِلْ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا } . وقاله في هذه الآية الكريمة { وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا } قرأه حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (عتياً) بكسر العين اتباعاً للكسرة التي بعدها ، ومجانسة للياء وقرأه الباقون (عتياً) أنه بلغ غاية الكبر في السن . حتى نحل عظمه ويبس . قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية : يقول وقد عتوت من الكبر فصرت نحيل العظام يابسها . يقال منه للعود اليابس : عودعات وعاس . وقد عتا يعتو عتواً وعتياً . وعسا يعسو عسياً وعسوا . وكل متناه إلى غاية في كبر أو فساد أو كفر فهو عات وعاس .